بالغة في الخروج باللغة من طابعها النفعي إلى طابعها الإبداعي ، وربما لهذا وجدنا لمبحث (التقديم والتأخير) أهمية خاصة في الدراسات القديمة ، وهذه الأهمية تأتي من الرَّصد الشَّكْلي لألوان هذا الأداء في الإبداع الأدبي ، حتى إنه من البديهي أن نقول بأن النِّتاج الأدبي كله لا يخلو من هذه الظاهرة التعبيرية .

وقد تنبَّه سيبويه لهذه الظاهرة قديمًا وأشار إلى ما لها من أثر دلاليٍّ عند حديثه عن الفاعل الذي يتعداه فِعْلُهُ إلى مفعوله ، حيث يكون التقديم لما يكون بيانه أهم وأولى [١] . ويستمر الرجل في تدقيق ألوان الأداء التي تتميز بهذه الخاصية مراعيًا أنها تكون لغير البيان والأهمية ، كأن تكون لتنبيه المخاطب وتأكيد الكلام ، وقد نقل عنه ذلك عبد القاهر ، فسيبويه يقول : « فإذا بنيت الفعل على الاسم قلت : زيد ضربته ، فلزمته الهاء ، وإنما تريد بقولك مبني عليه الفعل أنه في موضع منطلق إذا قلت : عبد الله منطلق ، فهو في موضع هذا الذي بني على الأول وارتفع به ، فإنما قلت عبد الله فنبهته له ، ثم بنيت عليه الفعل ورفعته بالابتداء . » [٢]

ويذكر عبد القاهر هذا الأثر الدلاليَّ في تعليقه على قول الشاعر :

هم يفرشون اللبد كل طمرة وأجرد سباح يبذ المغالبا

« لم يرد أن يدعي لهم هذه الصفة دعوى من يفردهم بها وينص عليهم فيها ، حتى كأنه يعرّض بقوم آخرين فينفي أن يكونوا أصحابها ، هذا محال وإنما أراد أن يصفهم بأنهم فرسان يمتهدون صَهَوَاتِ الخيل ، وأنهم يقتعدون الجِيادَ منها ، وأن ذلك دأبهم ، من غير أن يعرض لنفيه عن غيرهمْ ، إلا أنه

(١) سيبويه : الكتاب ، ج ١ ، ص ٣٤ . (٢) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٨١ .